الفصل السادس

الانبهار العربي بأوروبا

obeikandl.com

obeikandl.com

الإنبهار بأوروبا مرض حقيقي

انبهار العرب بأوروبا الغربية حالة مرضية حقيقية نلمسها في مجتمعاتنا رغم تنوعها. فالغني والفقير والموظف والوزير والمتدين وغير المتدين كلهم ينبهرون بالغرب.

والمجتمع العربي يمنح ميزات تفوق للفرد الذي زار أوروبا أو عاش فيها أو تزوج من أوروبية. كما يمنح ميزات للشخص الذي يتعامل مع الغربيين. كموظف سفارة أو مترجم لدى شركة غربية. وحالات اغتيال هؤلاء الموظفين والمترجمين في العراق تدل على اعتقاد المتطرفين بتميزهم.

وكلنا نوافق على تمييز خبر عادي فنقول مثلاً: قتل في العراق أوروبي وجرح بريطاني. فهذا الخبر نجعله مهما أكثر من آخر يقول قتل في العراق عشرة مدنيين.

كما اعتاد مجتمعنا على أن يثق بكل ماهو غربي فننقل عن كاتب أو صحفي غربي ونهتم بقوله وبحديثه أكثر من اهتمامنا بحديث لعربي آخر حتى لو كان يفوقه قدرة ومعرفة.

هذا الانبهار بالغرب هو أحد أشكال عقدة تاريخنا في الغرب الذي كان مبهراً بحسب التصوّر الدارج. وهو انبهار مرضي. ونلمس مرضيته في ظاهرة الانتحارية في الوصول إلى الغرب.

مافيات تهجير المسلمين

كثرت مافيا تهجير البشر وأصبحت الرابح الوحيد من مجمل هذه الأوضاع المعقدة، والتي غالباً ما تنتهي مسؤوليتها عن المهاجر في إلقائه عند أقرب شاطئ أوروبي ترسو عليه قواربها المتهالكة إن وصلت.

مافيا لبنانية

أما المافيا اللبنانية فهى تنشط تحديداً طبقاً للتقرير أيضاً في مناطق الجنوب والبقاع والشمال اللبناني، ومعظم زبائنها من الشباب الذين يعانون من البطالة، وغالباً ما تكون محطة اللاجئين الأكراد المركزية هي ألمانيا، بينما يتوجه اللاجئون السريان إلى السويد بسبب تسهيلات تقدمها للكنيسة السريانية.

وتعتبر الحدود التشيكية الألمانية مكاناً مناسباً لعبور المتسللين العرب ليلاً بمساعدة دليل تشيكي أو فيتنامي يعرف جيداً مسالك العبور الجبلي والنهري، لكن كثيراً ما أدت هذه المسالك إلى كوارث راح ضحيتها متسللون لا يجيدون السباحة لاقوا حتفهم أثناء عبور النهر، أو متسللون قضوا بسبب برودة الطقس في فصل الشتاء، والبعض خسر بعض أطرافه بسبب الثلج والجليد.

والخطير في موضوع مافيا التهريب اللبنانية ضياع جوازات سفر اللبنانيين الذين يضطرون إلى تسليمها إلى المافيات الروسية والتشيكية قبل دخول أوروبا.

مافيا روسية

نشرت مجلة "دير شبيجل" الألمانية تقريراً تلقته الحكومة من جهاز مخابراتها يفيد بأنّ طالبي اللجوء باتوا يتسللون إلى ألمانيا عبر دول الاتحّاد الأوروبي، والذين يقومون بإيصالهم إلى ألمانيا هم رجال المافيّا الروسيّة الذين باتوا يتمتّعون بأساليب مبتكرة لتهريب البشر إلى الدول الأوروبية.

ويقدر التقرير أرباح تجارة تهريب البشر إلى أوروبا بخمسة مليارات دولار سنوياً، يذهب نصفها تقريباً لصالح المافيا الفيتناميّة التي برعت هي الأخرى في تهريب البشر حسب التقرير الألماني، وتخصصت هذه المافيا في تهريب الناقمين على الدول الشيوعية والاشتراكية في آسيا، ومنها الصين وغيرها، حيث يجري تهريب الصينيين إلى دول مثل النرويج والسويد والدانمارك وفنلندا وغيرها من الدول.
ويشير تقرير الاستخبارات الألمانية إلى وسائل قاسية ودموية تستخدمها المافيات

الدولية في عمليات تهريب البشر إلى أوروبا، مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى خسائر في الأرواح من قبيل غرق السفن التي تستخدم في نقل اللاجئين حيث تقوم المافيات الروسيّة على سبيل المثال بشراء سفن متهالكة تحتاج إلى صيانة وتهرب فيها البشر إلى شواطئ الدانمارك والنرويج، حيث مات المئات في البحار القاسية البرودة قبل وصولهم إلى مواقع اللجوء، وحسب الدوائر الأمنية الأوروبية التي تعمل على ملاحقة مهربي البشر فإنّ المافيا الروسيّة تقوم بتهريب مليون لاجئ إلى دول أوروبا الغربية. ورغم القيود الأمنية الصعبة التى وضعتها الشرطة في العديد من الدول الأوروبية لمنع الهجرة إليها إلا أنّ مافيا التهريب نجحت في اختراق العديد من الخطط الأمنية وتحديداً بعد إلغاء الحدود بين الدول الأوروبيّة

ويملك رجال مافيا التهريب أجهزة حديثة ومتطورة لطبع الجوازات الأوروبية وتزويرها وطباعة التأشيرات، وهم الذين يحددّون الطريق التي يجب أن يسلكها اللاجئون، فإذا كانت الحراسة مشددّة في المطارات لجأوا إلى الحدود البرية واستخدام شاحنات خاصة في تهريب البشر، وإذا كانت الحراسة في الحدود البريّة مكثفة، لجأ المهربون إلى البحر حيث السفن القديمة التي يغرق معظمها، وقد أحصت مفوضيّة شؤون اللاجئين التابعة لجمعية الأمم المتحدة آلاف الضحايا في وسط البحار من بينهم نساء حوامل وأطفال، كما حدث في الدانمارك وإيطاليّا.

مافيا مغربية

الخط الثاني الذي يسلكه المهاجرون المسلمون هو الذي يمرّ عبر شمال إفريقيا والشرق الأوسط عبر مركزين رئيسين هما المغرب ولبنان.

المهربون المغاربة أقاموا قاعدة لهم في المغرب لتهريب البشر إلى إسبانيا وبقية الدول الأوروبية عبر مضيق جبل طارق، ويتم التهريب من المغرب إلى الشواطئ الإسبانية بقوارب متهالكة، وطالبو اللجوء السياسي والاقتصادي عبر هذا الخطّ هم من بلدان شمال وغرب إفريقيا.

وقد مات عبر مضيق جبل طارق مئات الفارّين من بلادهم، كما أنّ الكثير منهم تمّ اعتقالهم من قبل شرطة الشواطئ الإسبانية، ويعمد الواصلون إلى إسبانيا إلى التسلل منها إلى بقية الدول الأوروبية كفرنسا وإيطاليا وألمانيا.ومن المعروف أن الحكومات الأوروبية قد سنّت قوانين تسمح لها بإبادة هؤلاء المحاولين الدخول إلى أوروبا بطريقة غير شرعية. ويتم إغراق مراكبهم في عرض البحر.ثمّ تتكاسل سلطات الطواريء في البحث عن الناجين. وقد تكررت هذه الأحداث عشرات المرات.

قوارب الموت والإنتحار

كلما تسمع عزيزي القارىء عن غرق مركب يحمل مهاجرين غير شرعيين تأكّد بأنه قد تم تدميره وإبادة من فيه من المسلمين. وتأكّد بأن ذلك القتل المتعمّد يأتي في سياق منع الإسلام من التسلل إلى الغرب بل وفي سياق مشروع إبادة المسلمين، إذ من الجائز أن يغرق مركب من عشرة مراكب ومن غير المحتمل أن تغرق كافة المراكب التي تحاول عبور مضيق جبل طارق ذي المسافة القصيرة. وقد كانت مثل هذه المراكب تنقل بهدوء عشرات العرب والمسلمين إلى الشواطىء الأوروبية دون أن تواجه مصاعب وغرقاً. وهنا نتعرف على واحدة من قصص المهاجرين المسلمين المندفعين نحو أوروبا. والتي تبين مدى عظمة حلم هؤلاء في الوصول إلى أوروبا.كما ونلاحظ تنوع طرق العبور وأساليب المتاجرة بأحلام هؤلاء. فقد جاء إبراهيم وبدرا من السنغال إلى موريتانيا يراودهما حلم بالهجرة إلى ما يعتقدان أنه الفردوس الاوروبي.

فبعد تشديد إجراءات الامن والرقابة على الحدود المغربية وإبرام اتفاقيات التعاون الأمني مع أسبانيا اتجهت أنظار المهاجرين السريين إلى موريتانيا، وإلى مدينة نواذيبو الساحلية في أقصى الشمال الغربي على وجه الدقة، كطريق بديل يخضع لرقابة حدودية أخف نسبياً، لإبحار قواربهم المتهالكة نحو جزر الكناري الأسبانية.

ويتدفق الشباب الافريقي إلى نواذيبو للإقامة في أحياء وتجمعات بعينها، حتى أن هناك حياً يدعى أكرا، وهو اسم عاصمة غانا، ويقطنه عدد كبير من غانا ومالي والسنغال.

هؤلاء لم يأتوا إلى موريتانيا باعتبارها محطة انتقالية نحو أسبانيا فقط، وإنما أيضاً سعياً وراء حياة أفضل وهربا من ظروف معيشية قاسية.

إبراهيم وبادرا ، وهما شقيقان يبلغان من العمر ثمانية وعشرين وتسعة وعشرين عاماً، هاجرا إلى موريتانيا قبل سنوات ليعيشا معاً في أحد الأحياء الفقيرة في نواذيبو، حيث يعملان في الصيد في مواسمه وفي ورش إصلاح السيارات، وذلك للانفاق على أسرتهما في السنغال وتوفير المال للهجرة إلى أسبانيا عندما تحين الفرصة.

ويتحدث ابراهيم عن الرغبة بالهجرة ويقول: عندما أتينا إلى هنا لم نجد عملاً لأنه لم يكن هناك أحد يعرفنا أو يثق بنا ، فاعتمدنا على المبلغ الذي كان معنا في تدبير السكن والأكل، وعندما نفد المال جاءت أيام لم نجد فيها ما نأكله.

أول ما جئنا لم نكن نفكر كثيراً في الهجرة لأوروبا ، لكن بعد أن أقمنا مع مجموعة تحضر للهجرة لاسبانيا أقنعونا بمحاولة توفير المال لدفعه للمهرب، وعندما عملنا لم نستطع توفير شيء بعد دفع إيجار السكن والمصاريف اليومية ، ولذا ننتظر فرصة أفضل وقد يستغرق الأمر عشر سنوات لتوفير الاموال المطلوبة لرحلة أوروبا.

فعندما أردنا الذهاب لأوروبا جدي الذي يعيش في الولايات المتحدة أرسل لي المال وأمي أيضاً أرسلت لإبراهيم مبلغاً.

فما هي الأسباب التي دفعت أسرة إبراهيم وبدرا وغيرها من الأسر لذلك رغم المخاطر واحتمال موت أحبائهم غرقاً؟

يقول ابراهيم: "نعم تعلم أسرتنا المخاطر، لكن الظروف المعيشية في بلدنا صعبة للغاية حيث يمكن أن تعمل عملاً شاقاً وتكون المحصلة ضعيفة، لكن ليس أمامك سوى الاستمرار في العمل وإلا نموت من الجوع والبرد ، وثانياً نحن نعمل أصلاً في البحر طوال الوقت والموت بيد الله في الطائرة أو السيارة أو البحر.

تضييقات على المهاجرين المسلمين

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر وانتشار "الإسلاموفوبيا" وتصاعد هاجس الأمن لدى أوروبا اتبعت أوروبا سياسات مضادة للمهاجرين لم تكن تتبعها من قبل وأصبحت سياساتها أقرب لليمين في النظرة للقادمين الجدد، ومواقفها أكثر ميلاً للتعامل بعنف معهم. يقول توم جينكينز، كبير مستشاري مؤتمر اتحاد نقابات أوروبا: *"أعتقد أن بعض الحكومات تتصرف كرد فعل لليمين المتطرف في بعض البلدان، وبالتالي تعمد لإظهار نفسها أكثر تشدداً إزاء الهجرة" "غير أن الواقع أن الناس سيهاجرون، ومن الأفضل أن يهاجروا بشكل قانوني حتى يمكن تطبيق معايير مناسبة عليهم".*

ورغم أن معاهدة توسيع الاتحاد الأوروبي أعلنت التزامها بمواثيق حقوق الإنسان فيما يخص التعامل مع اللاجئ إلا أن المعاهدة منحت الأعضاء الحاليين بالاتحاد حق تحرير أسواق العمالة لديهم بالكامل أو فرض ما يرونه من قيود عليها حتى سبع سنوات قادمة، وهي الفترة الكافية لإفراغ أوروبا من غير المرغوب فيهم، خاصة إن كانوا مسلمين، واتّباع إجراءات أشد عنفاً لمنع الهجرة إليها.

هذا الخوف الشديد من الإسلام (الإسلاموفوبيا) جعل دولة مثل اليونان لا تمنح تأشيرة دخول للألبان المسلمين إلا بعد تغيير أسمائهم التي تدلّ على أنهم مسلمين. كاسم محمد ومجموعة الأسماء التي تبدأ بعبد.. ، أما الإيطاليون فيفضّلون هجرة الكاثوليك من دول البلقان إليها بدلاً من المسلمين.

مسلمو أوروبا الفقراء

تشغلنا بشكل أخص الظاهرة – القليلة دون شك – المتمثلة في كون مسلمين مقيمين في أوروبا وأحياناً مولودين فيها ينضمون إلى شبكات الإرهاب الجهادي كما نرى باستمرار. ولابد من البحث عن الدافع إلى التشدد في الشعور بالانتماء للمجتمع الأوروبي. فـ ٣٧٪ من المسلمين الفرنسيين و٢٨٪ من البريطانيين و٢٥٪ من

obeikandl.com

الأسبان و١٩٪ من الألمان يصرحون، بحسب استبيان مركز (PEW) عام ٢٠٠٦، بأنهم تعرضوا لتجارب شخصية من الاعتداء عليهم بسبب كونهم مسلمين. من جانب آخر فإن أغلبهم يشعرون بكونهم مسلمين قبل أن يكونوا مواطنين لبلدانهم باستثناء حالة فرنسا حيث يشعر ٤٦٪ منهم بأنهم فرنسيون قبل كل شيء مقابل ٤٢٪ يشعرون بأنهم مسلمون قبل كل شيء . وينضاف إلى كل ذلك كون المسلمين الأوروبيين –المنتمين في أغلبهم إلى الموجات المهاجرة والتي لا تحوي خبرات مهمة- يعيشون مستوى اقتصادياً أضعف في المتوسط من المواطنين الآخرين. وبحسب تقرير للمرصد الأوروبي للعنصرية يعيش المسلمون في أحياء ظروف الإسكان فيها سيئة والمستوى الدراسي أخفض كما يتركز المسلمون في المهن الأضعف دخلاً ومن بينهم نسبة بطالة مرتفعة.

حاجة أوروبا للمهاجرين المسلمين

حسب معلومات المنظمة الدولية للهجرة فإن عدد مَن تمكّن من عبور الحدود الأوروبية بطرق غير قانونية يُقدّر بحوالي ٢٥٠ إلى ٣٠٠ ألف شخص سنوياً في فترة التسعينيات . وفي عام ٢٠٠٠ وحسب معلومات وكالة الغوث الدولية فقد زاد الرقم إلى ٣٩٠ ألف شخص بطلب لجوء إلى الدول الأوروبية، ومعظم تلك الطلبات كان في بريطانيا ثم ألمانيا. ووفق الإحصاءات الرسمية للاتحاد الأوروبي يبلغ عدد المهاجرين بطرق غير شرعية إلى أوروبا سنويًّاً ٤٠٠ ألف أجنبي معظمهم من أوروبا الشرقية، ففي إيطاليا يوجد قرابة ١،٥ مليون مهاجر، منهم ٤٠٠ ألف مسلم من شمال إفريقيا ومسلمي البلقان.

وفي فرنسا قرابة ١٠٠ ألف مهاجر غير شرعي سنوياً، من بينهم ٢٢٣٧٥ طالباً للجوء السياسي.

وفي إسبانيا حوالي ٧٥٠ ألف مهاجر غير شرعي من ٩٠ دولة وفي سويسرا التي تضم ثاني أكبر جالية ألبانية في أوروبا بعد ألمانيا ينتظر ٢٠٠ ألف مهاجر غير شرعي قرارات بقبولهم كلاجئين سياسيين.

obeikandi.com

ويحتاج الاتحاد الأوروبي إلى ١,٦ مليون مهاجر سنوياً ليحافظ على التوازن بين المواطنين العاملين والمتقاعدين. أما الآن فإنه يحتاج إلى ١٣,٥ مليون مهاجر لتسوية النقص الحاصل فيه من قبل. وقد كشفت صحيفة (الاتحاد الاشتراكية) المغربية الرسمية أن السلطات احتجزت نحو تسعة آلاف من المهاجرين غير الشرعيين باتجاه إسبانيا ، منهم ٧٦٨٠ مغربياً والباقي من دول مختلفة مثل الجزائر ونيجيريا وأنجولا وليبيريا وموريتانيا وباكستان وبنجلاديش.

وانّ المبدأ الحاكم الذي تقوم عليه المعايير الدولية لحماية اللاجئين هو "حظر الطرد أو الرد" بمقتضى المادة ٣٣ من اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١ ، التي تنص على أنه "لا يجوز لأية دولة متعاقدة أن تطرد لاجئاً أو ترده بأي صورة من الصور إلى حدود الأقاليم التي تكون حياته أو حريته مهددتين فيها بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية". وينطبق مبدأ "حظر الطرد أو الرد" على الإرجاع القسري المباشر إلى دولة معينة مثلما ينطبق على الإجراءات غير المباشرة التي قد تؤدي في واقع الحال إلى إرجاع اللاجئ إلى دولة قد تتعرض فيها حياته أو حريته للخطر.

openkandil.com